

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا
فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ^ج وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

يقول تعالى - آمرا أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات ، ومتهددا لهم أن يفعلوا ، بقوله : (من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) قال بعضهم : معناه : من قبل أن نطمس وجوها . طمسها هو ردها إلى الأدبار ، وجعل أبصارهم من ورائهم . ويحتمل أن يكون المراد : من قبل أن نطمس وجوها فلا يبقى لها سمع ولا بصر ولا أثر ، ونردها مع ذلك إلى ناحية الأدبار . قال العوفي عن ابن عباس : (من قبل أن نطمس وجوها) وطمسها أن تعمى (فنردها على أدبارها) يقول : نجعل وجوههم من قبل أقبائهم ، فيمشون القهقري ، ونجعل لأحدهم عيني من قفاه . وكذا قال قتادة ، وعطية العوفي . وهذا أبلغ في العقوبة والنكال ، وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبل الضلالة يهرعون ويمشون

القهقري على أدبارهم ، وهذا كما قال بعضهم في قوله : (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا
فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا) [ومن خلفهم سدا
فأغشيناهم فهم لا يبصرون] ([يس 8 ، 9] إن هذا مثل [سوء] ضربه الله لهم في
ضلالهم ومنعهم عن الهدى . قال مجاهد : (من قبل أن نطمس وجوها) يقول : عن صراط
الحق ، (فردها على أدبارها) أي : في الضلالة . قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن
عباس ، والحسن نحو هذا . قال السدي : (فردها على أدبارها) فمنعها عن الحق ، قال
: نرجعها كفارا ونردهم قردة . وقال ابن زيد نردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز . وقد
ذكر أن كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآية ، قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ،
حدثنا جابر بن نوح ، عن عيسى بن المغيرة قال : تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب ، فقال
: أسلم كعب زمان عمر ، أقبل وهو يريد بيت المقدس ، فمر على المدينة ، فخرج إليه
عمر فقال : يا كعب ، أسلم ، قال : أستم تقرأون في كتابكم (مثل الذين حملوا التوراة
[ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل] أسفارا) وأنا قد حملت التوراة . قال : فتركه عمر
: ثم خرج حتى انتهى إلى حمص ، فسمع رجلا من أهلها حزينا ، وهو يقول : (يا أيها

الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على
أدبارها) الآية . قال كعب : يا رب آمنت ، يا رب ، أسلمت ، مخافة أن تصيبه هذه
الآية ، ثم رجع فأتى أهله في اليمن ، ثم جاء بهم مسلمين . وقد رواه ابن أبي حاتم من
وجه آخر بلفظ آخر ، فقال : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا عمرو بن واقد ، عن
يونس بن حلبس عن أبي إدريس عائذ الله الخولاني قال : كان أبو مسلم الجليلي معلم
كعب ، وكان يلومه في إبطائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فبعثه إليه لينظر
أهو هو ؟ قال كعب : فركبت حتى أتيت المدينة ، فإذا تال يقرأ القرآن ، يقول : (يا أيها
الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على
أدبارها) فبادرت الماء فاغتسلت وإني لأمسح وجهي مخافة أن أطمس ، ثم أسلمت
. وقوله : (أو نلغهم كما لغنا أصحاب السبت) يعني : الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على
الاصطياد ، وقد مسخوا قردة وخنازير ، وسيأتي بسط قصتهم في سورة الأعراف . وقوله : (
وكان أمر الله مفعولا) أي : إذا أمر بأمر ، فإنه لا يخالف ولا يمانع .